وفود العرب على كسرى

لأســتاذ جليل

الشاعر الناثر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى مقالته اللطيفة (الخطابة بين الحرب والسياسة) في الرسالة (٥٢١) ص (٥١٠) يشير إلى قصة (وفود العرب على كسرى) ويستشهد بكلام للحارث بن ظالم دليلاً على حذق الخطيب وسرعة خاطره. ولا ريب فى أن الأستاذ قدّر فى نفسه صحة الحكاية. والحق — والحقيقة إن ساءت سرت — أن هذا الخبر الذى أورده ابن عبد ربه فى (العقد) وصاحب (تحفة الإخلاء) فى كتابه أسطورة مصوغة. وقد كان هذا الضعيف أول من عالن بصوغ الخبر فقال سنة (١٣٤٣):

« ... وإن كتب العلم لتنبئنا بأن الرواة كانوا يتقربون إلى الخلفاء والسلاطين والنبهاء فى الدولة برواياتهم، فكانوا يضعون الأحاديث، ويختلقون ما لم يكن ابتغاء خير يأملونه عند من يحملون سلعتهم الأدبية إليه أو أجلَ تبريزهم على أقرانهم برواية قول أو شعر استبدوا هم بمعرفته. وربما صاغ العلماء والأدباء الحديث لينصروا مقالة لهم أو نحلة ... وعُدَّ من الموضوع أيضاً مقالة النعمان فى النصح عن أحساب العرب وكلام الذين أوفدهم ابن ماء السماء إلى سلطان فارس فإنه مزور مختلق لم يقله النعمان ولا جماعته ولن يستجرئوا على مثله، ولن يجوز العقل أن يقعد ابن الأكاسرة لاستماع ثرثرة كل مهذار نفّاج[1] ويفرغ لشهود مجرفة المتعجرف وعنجهيته. ومن الموضوع أيضاً كلام وفود قريش على سيف بن ذى يزن، وحديث عبد المطلب بن هاشم، وحديث عبد المسيح بن نفيلة مع خاله سطيح، وحديث خُنافر الحميرى مع رَئِيِّه شُعصار[2] فإن هذه الأحاديث أعرق قول فى الاختلاق. والدليل على ذلك علمي عقلى فليرجع إلى كتاب العقد والأمالى من أحب وليتأمل ذلك بعين العقل، ولا يسألنا سرد الأدلة فالموقف حرج، واللبيب تكفيه اللمحة الدالة[1]، و (من لا يعرف الوحى (الإشارة) أحمق)»

ثم جاء عالم من علماء القاهرة مشهور فأيد فى مصنف له القول فى اختلاق تلك الحكاية، حكاية الوفود. ولن يضير — إن شاء الله تعالى — تلك الأخبار من الوجهة اللغوية والأدبية ضائر. ومما يسر أنها لفقت والعربية بليغة فصيحة صحيحة قوية. وإن خيل أن أولئك الصواغين أو الصياغين قد أحفظوا طلاب الحقائق التأريخية بما وضعوا، فقد أحسنوا بما صنعوا، إذ خدموا — والحق يقال — لغة (الكتاب) وهل كان لنا هذا التراث، هذه الثروة اللغوية الثمينة لولا تلكم الصوغات المزخرفات؟

وإنا لموقنون أن القوم ما قصدوا فى كثير مما لفقوا إساءة و «إنما الأعمال بالنيات»[2] وإن أساءوا وأحسنوا فـ «إن الحسنات يذهبن السيئات»

وبعد فمن مبدع ذلك الخبر؟

ابن عبد ربه وصاحب (تحفة الأخلاء) نقلة. وقد روى ياقوت فى سيرة (الزبير بن بكار بن عبد الله القرشى) أن من تصانيفه كتاب وفود النعمان على كسرى

فهل صاحب هذا الكتاب هو «الصائغ» المحسن؟

* * *

قال الذهبى فى (الميزان): الزبير بن بكار الإمام صاحب النسب[3]، كان ثقة من أوعية العلم، لا يلتفت إلى قول أحمد بن على السليمانى حيث ذكره فى عداد من يضع الحديث، وقال مرة: منكر الحديث

---

(١) النفاج: المتكبر المفتخر بما ليس عنده

(٢) رئيه: تابعه من الجن (شعصار): اسم جنى

(١) يعد بعضهم مثل هذه الأخبار من دلائل النبوة لما فيها من الأعلام بالبعثة المقدسة قبل ظهورها، وقد سلكت هذه الطريقة فى القول يومئذ ثم جاهرت بما جاهرت به فى مؤلفاتى ومقالاتى فى هذه المجلة وغيرها

(٢) وإنما لكل امرئ ما نوى هذا من الأحاديث التى صحت عند الامام أبى حنيفة، ومقدارها معلوم. وقد ذكره ابن خلدون فى المقدمة

(٣) كتاب أنساب قريش وقد جمع فيه شيئاً كثيراً، وعليه اعتماد الناس فى معرفة نسب القرشيين (ابن خلكان)